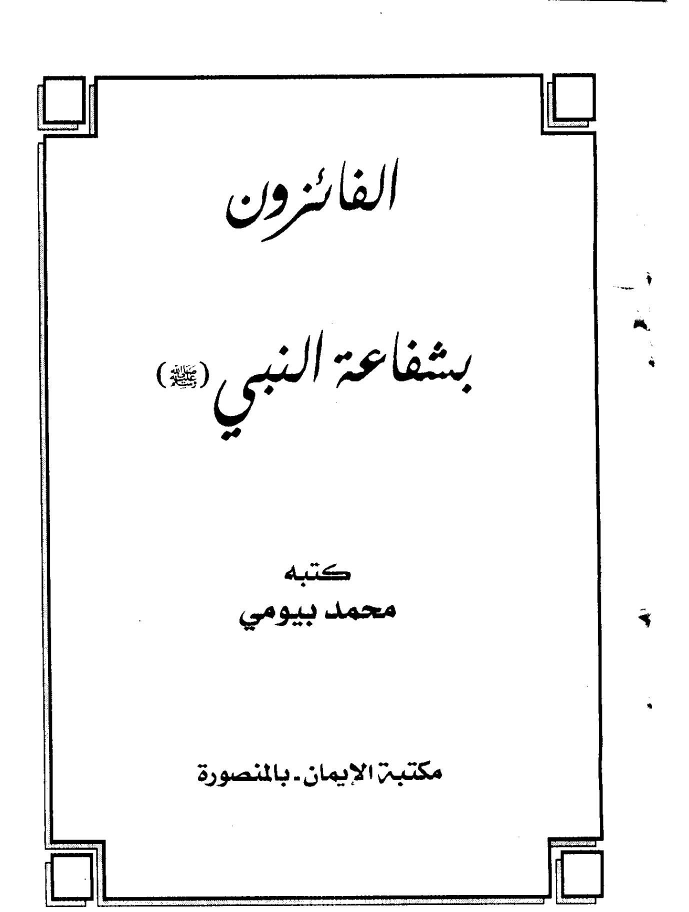


الفائزون

بشفاعة النبي (ﷺ)

كتبه

محمد بيومي

مكتبة الإيمان - بالمنصورة

بطاقة الفهرسة

فهرسة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بيومى، محمد

الفائزون بشفاعة النبي (ص) / كتبه محمد بيومى . ـ ط١ .ـ المنصورة : مكتبة الإيمان ، ٢٠٠٦ .

٧٢ص ، ١٥x١٢ سم .

تدمك 6 ـ 265 ـ 290 ـ977

١ـ الشفاعة .

أ ـ العنوان ٢٤٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٨٣٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد...

فهذه رسالة مبسطة عن شفاعة النبي (ﷺ) لأمته، وقد ذكرت فيها أنواع الشفاعات الثابتة للنبي (ﷺ)، جعلنا الله جميعًا من أهل شفاعته (ﷺ).

• • •

شفاعات النبي (ﷺ)

الشفاعات : جمع شفاعة، والشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفعًا.

وفي الاصطلاح: التوسط بجلب منفعة أو دفع مضرة، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له، صرت معه شفعًا تشفعه.

وللشفاعة ثلاثة شروط:

الأول: رضى الله (عز وجل) عن الشافع.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس، من رضي عنهم، ومن لم يرض عنهم.

الثالث: إذنه في الشفاعة. والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له، ودليل ذلك قوله (تعالى): ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]، ولم يقل: عن الشافع ولا المشفوع له؛ ليكون أشمل. وقال (تعالى): ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٩]، وقال (سبحانه): ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطًا واحدًا.

أنواع الشفاعات الثابتة للرسول (ﷺ)

أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية ثلاث شفاعات للرسول (ﷺ)، وأثبت الإمام النووي في شـرحه على «صحيح مسلم» خمس شفاعات، وأثبت ابن القيم ستة أنواع من الشفـاعة، وأنهاها العلامة أبو العز الحنفي شارح «الطحاوية» إلى ثمانية وهي:

١ ـ شـفـاعـتـه (ﷺ) لأهل الموقف، لكي يقضي الله (تعـالى) بينهم بعد أن يتراجع الأنبـياء «آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى»، وهـٰذه هي الشفاعة العظمى.



٢ ـ شفاعته (ﷺ) في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها.

٣ ـ شفاعته (ﷺ) في أهل الجنة أن يدخلوها.

٤ ـ شفاعته (ﷺ) فيمن استحق النار ألا يدخلها.

٥ ـ شفاعته (ﷺ) في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم.

٦ ـ شفاعته (ﷺ) في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٧ ـ شفاعته (ﷺ) في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.



٨ ـ شفاعته (ﷺ) في تخفيف العذاب عمن يستحقـه كشفاعته في عمـه أبي طالب، وهـٰذا ما سنبينه بالتفصيل إن شاء الله (تعالى).

• • •

حديث الشفاعة العظمى

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها، فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس ـ لبعض ـ: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد**

بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم، فيقول بعض الناس ـ لبعض : ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك. اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته. نفسي نفسي. اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح؛ فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلىٰ الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ

ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي. نفسي. نفسي. اذهبوا إلىٰ إبراهيم؛ فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته. نفسي. نفسي. اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ. فيأتون

موسىٰ فيقولون: يا موسىٰ! أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها. نفسي. نفسي، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ، فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ! أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلىٰ مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسىٰ: إن

ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي، نفسي. اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد (ﷺ) فيأتوني، فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فاشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي (عز وجل) ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب!

أمتي أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» .

[متفق عليه]

وهذه الشفاعة هي الواردة في قول الله (تعالى) : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

كما وردت الأحاديث الصحيحة بذلك،

ومنها: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) في قوله (تعالىٰ): ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وسئل عنها، فقال: «**هي الشفاعة**».

«رواه أحمد والترمذي بسند حسن»

وعن كعب بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل[1]، ويكسوني ربي (تبارك وتعالىٰ) حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود**».

«رواه أحمد والطبراني بسند صحيح»

(١) التل: الكومة من الرمل.

وعن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا**[1] **كل أمة تتبع نبيها يقول: يا فلان! اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إليَّ فذلك المقام المحمود**».

«رواه النسائي في الكبرى» بسند حسن

فوائد أخرى في الحديث:

قال السفاريني:

هذه الشفاعة العامة التي خُص بها نبينا (ﷺ) من بين سائر الأنبياء، وهي المرادة بقوله (ﷺ): «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي**

(١) جثا: جمع جثوة. وهو الذي يجلس على ركبتيه.

دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي».

«متفق عليه»

وهـذه الشفـاعة لأهل الموقف إنما هي لأجل حسابهم ويُراحوا من الموقف[1].

وقال الحافظ ابن حجر:

وفيه ـ أي: الحديث ـ تفـضيل محمد (ﷺ) على جميع الخلق؛ لأن الـرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم، وقد ظهر فضله في هـذا المقام عليهم..

قال القرطبي:

ولو لـم يكن في ذلك إلا الفرق بين من يقول

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢/٢٠٧).

نفسي نفسي، وبين من يقول: أمتي أمتي، لكان كافيًا.

وفيه تفضيل الأنبياء المذكورين فيه على من لم يُذكر فيه لتأهله لذلك المقام العظيم، دون من سواهم، وقد قيل: إنما اختص المذكورون بذلك لمزايا أخرى لا تتعلق بالتفضيل، فآدم ؛ لكونه والد الجميع، ونوح؛ لكونه الأب الثاني، وإبراهيم؛ للأمر باتباع ملته، وموسى؛ لأنه أكثر الأنبياء تبعًا وعيسى؛ لأنه أولى الناس بنبينا محمد (ﷺ) كما ثبت في الحديث الصحيح، ويحتمل أن يكونوا اختصوا بذلك؛ لأنهم أصحاب شرائع عُمل بها من بين من ذُكر أولاً ومن بعده.

وفي الحديث من الفوائد غير ما ذكر:

أن من طلب من كبير أمرًا مهمًا أن يقدم بين يدي سؤاله وصف المسئول بأحسن صفاته، وأشرف مزاياه؛ ليكون ذلك أدعى لإجابته لسؤاله.

وفيه: أن المسئول إذا لم يقدر على تحصيل ما سُئل يعتذر بما يُقبل منه، ويدل على من يُظَنُّ أنه يكمل في القيام بذلك، فالدال على الخير كفاعله، وأنه يثني على المدلول عليه بأوصافه المقتضية لأهليته، ويكون أدعى لقبول عذره في الامتناع[1].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٤٩).

وأما ما ذكر في الحديث من أن نوحًا (عليه السلام) هو أول الرسل، فقد استشكل بأن آدم كان نبيًا، وبالضرورة يعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم، فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم: إلى أهل الأرض؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد: أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما

أرسل إلى بنيه فقط، وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة[1].

• • •

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٢٩).

شفاعته (ﷺ) في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها

عن أنس بن مـــالك (رضي الله عنه) أن رسـول الله (ﷺ) قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

«رواه أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح»

وهـذه الشـفاعـة حق يؤمن بهـا أهل السنة والجمـاعة، كمـا آمن بها الصـحابة (رضي الله عنهم) ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان (رضي الله عنهم).

قال ابن خزيمة:

قوله (ﷺ): «**شـفـاعـتي لأهل الكبـائر من أمتي**» فإنما أراد: شفاعتي بعد هذه الشفاعة التي

عمت جميع المسلمين، هي شفاعة لمن أدخل النار من المؤمنين بذنوب وخطايا قد ارتكبوها، لم يغفرها الله لهم في الدنيا، فيخرجوا من النار بشفاعته.

فمعنى قوله (ﷺ): «**شفاعتي لأهل الكبائر**» أي: من ارتكب من الذنوب الكبائر، فأدخلوا النار بالكبائر؛ إذ الله (عز وجل) وعد تكفير الذنوب الصغائر باجتناب الكبائر على ما قد بينت في قوله (تعالى): ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾ [النساء: ٣١][1].

(١) «التوحيد» (ص ٢٧٢).

وقد أنكرت الخوارج والمعتزلة هذا النوع من الشفاعة؛ لأن مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، ومن استحق الخلود، فلا تنفع فيه الشفاعة، وقولهم هذا باطل بالنص والإجماع.

وقال النووي:

جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله (تعالى): ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [المدثر: ٤٨]، وبقوله (تعالى) : ﴿ما

للظَّالمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات، فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، وإخراج من استوجب النار»[1].

وقال الآجري:

إن المكذب بالشفاعة أخطأني في تأويله خطأ فاحشًا، خرج به عن الكتاب والسنة، ذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله (عز وجل) أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها فجعلها المكذب بالشفاعة في

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/٩٩٧، ٩٩٨).

الموحدين، ولم يلتفت إلىٰ أخبار رسول الله (ﷺ) في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هٰذا، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان، واتبع غير سبيلهم، قال الله (عز وجل):

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥]. فكل مَن ردَّ سنة رسول الله (ﷺ) وسنن أصحابه فهو ممن شاقق الرسول وعصاه، وعصى الله (تعالىٰ) بتركه قبول السنن، ولو عقل هٰذا الملحد، وأنصف من نفسه؛ علم أن أحكام الله (عز وجل) وجميع ما

تعبد به خلقه، إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، وقد أمر الله (عز وجل) نبيه (ﷺ) أن يبين لخلقه ما أنزله عليهم مما تعبدهم به، فقال (جل ذكره): ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد بين (ﷺ) لأمته جميع ما فرض الله (عز وجل) عليهم من جميع الأحكام وبين لهم أمر الدنيا وأمر الآخرة، وجميع ما ينبغي أن يؤمنوا به، ولم يدعهم جهلة لا يعلمون حتى أعلمهم أمر الموت والقبر، وما يلقى المؤمن، وما يلقى الكافر، وأمر المحشر والوقوف، وأمر الجنة والنار حالاً بعد حال، يعرفه أهل الحق.

اعلموا يا معشر المسلمين! أن أهل الكفر إذا دخلوا النار، ورأوا العذاب الأليم وأصابهم الهوان الشديد؛ نظروا إلى قوم من الموحدين معهم في النار فيعيروهم بذلك، وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا، وأنتم معنا في النار؟ فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزنًا وغمًا، فاطلع الله (عز وجل) على ما نالهم من الغم بتعيير أهل الكفر لهم، فأذن في الشفاعة، فيشفع الأنبياء، والملائكة، والشهداء، والعلماء المؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا به رسول الله (ﷺ) على طبقات شتى فدخلوا الجنة، فلما فقدهم أهل الكفر ودوا حينئذٍ

لو كانوا مسلمين، وأيقنوا أنه ليس شافع يشفع لهم، ولا صديق حميم يغني عنهم من عذابهم شيئًا، قال الله (عز وجل) في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب، وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿فَهَل لَّنَا من شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال (عز وجل): ﴿فَكُبْكِبُوا فيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّه إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ١٠١].

وقال (عز وجل) في سورة المدثر وقد أخبر

أن الملائكة [1] قالت لأهل الكفر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨]، قال الآجري: هذه كلها أخلاق الكفار فقال (عز وجل): ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ فدل على أنه لا بد من شفاعة، وأن الشفاعة لغيرهم لأهل التوحيد خاصة، وقال الله (عز وجل) ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا

(١) الظاهر من سياق الآيات أن القائلين ما سلككم في سقر هم أصحاب اليمين، انظر «تفسير القرآن العظيم» للإمام ابن كثير (٤/٤٤٦).

مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ١، ٢].

وإنما يود الكفار أن لو كانوا مسلمين، عندما رأوا معهم في النار قومًا من الموحدين فعيروهم وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم، وأنتم معنا في النار؟ فحزنوا من ذلك فأمر الله (عز وجل) الملائكة والأنبياء ومن سائر المؤمنين أن يشفعوا فيهم فشفعوا فأخرج من في النار من أهل التوحيد ففقدهم أهل الكفر فسألوا عنهم، فقيل: شفع فيهم الشافعون؛ لأنهم كانوا مسلمين، فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة»[1].

● ● ●

(١) «الشريعة» الآجري (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٥) ط. مؤسسة قرطبة.

شفاعة الرسول (ﷺ) لأهل الجنة أن يدخلوها

وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة، بل هو قصاص أخص، يطهر الله فيه القلوب، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة لا يجدونها مفتوحة، كما يجد أهل النار النار، فلا تفتح الأبواب حتى يشفع النبي (ﷺ) لأهل الجنة أن

يدخلوها فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهادًا فيه من غيره، وإلا فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب.

وهذه الشفاعة يشير إليها القرآن؛ لأن الله قال في أهل الجنة: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: ٧٣]. وهذا يدل أن هناك شيئًا بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب، وهو صريح فيما رواه مسلم عن حذيفة وأبي هريرة (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول **الله** (ﷺ): «**يجمع الله (تبارك وتعالى) الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة...**» وذكر الحديث وفيه: «فيأتون محمدًا،

فيقوم فيؤذن له ...»[1] الحديث.

وفي صحيح مسلم عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**أنا أول شفيع في الجنة**».

• • •

(١) «شرح العقيدة الواسطية» ابن عثيمين (٢/ ١٧٤ ، ١٧٥).

شفاعة الرسول (ﷺ) فيمن استحق النار ألا يدخلها

وهذا النوع من الشفاعة ليس خاصًا بالنبي (ﷺ) وإنما يشاركه فيها الصالحون.

وهذه الشفاعة قد تستفاد من دعاء الرسول (ﷺ) للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم، فإنه من لازم ذلك لا يدخل النار، كما قال النبي (ﷺ): «**اللهم! اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين** ...».

«رواه مسلم»

لكن هذه الشفاعة في الدنيا ، كما في قوله

(ﷺ): «ما من رجل مسلم يموت؛ فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه»[1].

«رواه مسلم»

• • •

(١) «المصدر السابق» (٢/ ١٧٧ ، ١٧٨).

شفاعته (ﷺ) في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم

وهؤلاء الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم يسمون أصحاب الأعراف.

قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد (ﷺ)[1].

وقال حذيفة (رضي الله عنه) إن أصحاب الأعراف قوم تكافئت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٩) رقم (١١٤٥٤) وفي سنده ضعف.

الجنة، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجُعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم، فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم، فقالوا: يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك، فقال: هل تعلمون أن أحدًا خلقه الله بيده ونفخ فيخ من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري؟ فيقولون: لا، فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا ابني إبراهيم، فيأتون إبراهيم (ﷺ) فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول: أتعلمون من أحد اتخذه الله خليلا، هل تعلمون أن أحدًا أحرقه قومه بالنار في الله غيري؟ فيقولون: لا،

فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا ابني موسى، فيأتون موسى (عليه السلام) فيقول: هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليمًا وقربه نجيًا غيري؟ فيقولون: لا، فيقول: ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا عيسى فيأتونه (عليه السلام) فيقولون له: اشفع لنا عند ربك، فيقول: هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري؟ قال: فيقولون: لا. فيقول: أنا حجيج نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم، ولكن ائتوا محمدًا (ﷺ)، فيأتوني؛ فأضرب بيدي على صدري ثم أقول: أنا لها، ثم أمشي حتى أقف

بين يدي العرش، فآتي ربي (عز وجل) فيفتح لي من الثناء ما لم يستمع السامعون بمثله قط، ثم أسجد، فيقال لي: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: ربي أمتي، فيقول: هم لك، فلا يبقى نبي مرسل ، ولا ملك مقرب، إلا غبطني بذلك المقام، وهو المقام المحمود، فآتي بهم الجنة، فأستفتح فيفتح لي ولهم، فيذهب بهم إلى نهر يقال له: نهر الحيوان، حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه، فتعود إليهم ألوان أهل الجنة، وريح أهل الجنة، فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية، ويبقى في صدورهم

شامات بيض يعرفون بها، يقال: مساكين أهل الجنة[1].

● ● ●

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (٨/١٩٩ ـ ٢٠٠) وفي سنده ضعف.

شفاعته (ﷺ) في رفع درجات بعض من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه عمله

عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: لما فرغ النبي (ﷺ) من حنين؛ بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، ورمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عم! من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولى فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي،

ألا تثبت، فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا [1] منه الماء.

قال: يا ابن أخي! اقرئ النبي (ﷺ) وعلى آله وسلم السلام، وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي (ﷺ) في بيته على سرير مرمل[2]، وعليه فراش، قد أصر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا، وخبر أبي عامر، وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء

(١) نزا منه الماء: أي: انصب من موضع السهم «الفتح».

(٢) أي: معمول بالرمال، وهي حبال الحصري التي تضفر.

فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم! اغفر لعبيد أبي عامر**» ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم! اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**» فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «**اللهم! اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا**».

قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرىٰ لأبي موسىٰ. **«متفق عليه»**

ولما مات أبو سلمة دعا له النبي (ﷺ) بقوله: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا**

وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوره له فيه». **«رواه مسلم»**

إشكال وجوابه: فإن قيل: إن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه (سبحانه) فكيف يسمى دعاء الإنسان لأخيه شفاعة، وهو لم يستأذن من ربه؟

والجواب: إن الله أمر بأن يدعو الإنسان لأخيه الميت، وأمره بالدعاء إذن وزيادة، وأما الشفاعة الموهومة التي يظنها عُباد الأصنام من معبوديهم، فهي شفاعة باطلة؛ لأن الله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا من ارتضاه من الشفعاء والمشفوع لهم[1].

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» ابن عثيمين (١/ ٤٢٨ - ٤٢٩).

شفاعته (ﷺ) في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي**».

«**رواه أحمد والترمذي وابن ماجة بسند حسن**»

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: «**عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه**

أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى (عليه السلام) وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله (ﷺ) ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله (ﷺ)

فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عُكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة» .

«رواه البخاري»

• • •

شفاعته (ﷺ) لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه

مات أبو طالب عم النبي (ﷺ) على الكفر، فعن ابن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة... فذكر الحديث، حتى قال، أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

«رواه البخاري»

وكان أبو طالب في حياته يحسن إلى رسول الله (ﷺ) إحسانًا كبيرًا مشهورًا، وكان من حكمة الله (عز وجل) أن بقي على كفره، وكان أبو طالب ذو وجاهة في قومه، وكانوا يحترمونه

ويعظمونه؛ لذلـك صار للنبي (ﷺ) جـانب من الحـمـاية بذلك؛ ولأجل مـا فـعله أبو طالب مع الرسول (ﷺ) فقد أذن الله لرسوله (ﷺ) أن يشفع فيه مع أنه كافر.

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله (ﷺ) ذكر عنده أبو طالب، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيـجعل في ضحضاح[1] من نار يـبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**».

«متفق عليه»

(١) الضحضاح: مـا رق من الماء على وجه الأرض إلى الكعبين، واستعيـر في النار، وأما الغمرات، فواحدتـها غمرة، وهي المعظم من الشيء

وعن العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: «**نعم! هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**». «متفق عليه»

وفي رواية: «**وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح**». «رواه مسلم»

وهذه الشفاعة من خصائص النبي (ﷺ)، إذ لا يشفع أحد في كافر غير النبي (ﷺ) ولا تتعارض شفاعة النبي (ﷺ) في عمه أبي طالب مع قول الله (تعالى): ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]؛ لأن شفاعته (ﷺ) من أجل تخفيف العذاب عن عمه وليست من أجل إخراجه من النار، وهذه الشفاعة تكون تطييبًا لقلب الشافع وليست ثوابًا للكافر.

قال النووي:

وفي هذا الحديث وما أشبهه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار كما أن نعيم أهل الجنة متفاوت.

• • •

الأعمال الموجبة لشفاعة الرسول (ﷺ)

سكنى المدينة النبوية والموت فيها:

عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**لا يصبر أحد على لأوائها فيموت، إلا كنت له شَفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا**». **«رواه مسلم»**

وعن عامر بن سعيد عن أبيه قال: قال

رسول الله (ﷺ) «**إني أحرم ما بين لابتي** [1] **المدينة أن يقطع عضاهها، أو يقتل صيدها، وقال: المدينة خير لهم، لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة**». «رواه مسلم»

الصلاة على النبي (ﷺ) وطلب الوسيلة له:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل**

(١) اللابة: هي الحرة، والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود والمراد تحريم المدينة.

ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة». «رواه مسلم»

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم! رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة».

«رواه البخاري»

كثرة السجود لله تعالى:

عن زياد بن أبي زياد مولى بن مخزوم ، عن خادم النبي (ﷺ) قال: **كان النبي (ﷺ) يقول للخادم: «ألك حاجة؟ حتى كان ذات يوم قال: يا رسول الله! حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «فأعني بكثرة السجود».**

«رواه أحمد بسند صحيح»

● ● ●

شفاعته رحمة وفضل من الله لهذه الأمة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): **«خيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»**.

«رواه أحمد والطبراني بسند صحيح»

وعن عوف بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: **«أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت**

الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا».

«رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والطبراني بسند صحيح»

وهذه من تمام شفقة النبي (ﷺ) على أمته، فقد اختار (ﷺ) الشفاعة عند ربه لأمته حتى ينعم أكثر أمته بالجنة.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): **«لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**.

«رواه مسلم»

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال:

«لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

«رواه مسلم»

ومن تمام شفقة الرسول (ﷺ) بأمته أنه كان يتضرع إلى الله ويبكي، ويسأله الرحمة لأمته، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي (ﷺ) تلا قول الله (عز وجل) في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية.

وقال عيسى (عليه السلام): ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يديه وقال: «**اللهم! أمتي أمتي**»، وبكى فقال الله (عز وجل) يا جبريل! اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل (ﷺ) فسأله، فأخبره رسول الله (ﷺ) بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك». **«رواه مسلم»**

قال النووي:

هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها:

بيان كمال شفقة النبي (ﷺ) على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم.

ومنها: استحباب رفع اليدين في الدعاء.

ومنها: البشارة العظيمة لهـٰذه الأمة زادها الله (تعالىٰ) شرفًا بما وعدها الله (تعالىٰ) بقوله: «**سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**» وهـٰذا من أرجىٰ الأحاديث لهـٰذه الأمة أو أرجاها.

ومنها: بيان عظم منزلة النبي (ﷺ) عند الله (تعالىٰ) وعظيم لطفه (سبحانه) به (ﷺ)، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله (ﷺ) إظهار شرف النبي (ﷺ) وأنه بالمحل الأعلىٰ فيسترضىٰ ويكرم بما يرضيه، والله أعلم.

وهـٰذا الحديث موافقة لقول الله (عز وجل):

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥]، وأما قوله (تعالى) في الحديث «**ولا نسوءك**» فقال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى أي: لا نحزنك لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار، فقال (تعالى): «**نرضيك ولا ندخل عليك حزنًا، بل ننجي الجميع**»، والله أعلم.

• • •

أول من يشفع فيهم النبي (ﷺ)

يشـفع النبي (ﷺ) في أمـتـه على حـسب درجات إيمانهم.

عن معـبد بن هلال العنزي قـال: اجتـمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشـفاعـة، فـإذا هو في قـصره فـوافـقناه يصلي الضـحى، فاسـتأذنا فـأذن لنا - وهو قاعـد على فـراشه - قلنا لثـابت: لا تسـأله عن شيء أول من حـديث الشفـاعة، فـقـال: يا أبا حمـزة! هؤلاء إخوانك من أهل البـصرة، جـاؤوك يسألونك عن

حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد (ﷺ) قال:

«إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعضهم، يأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلىٰ ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسىٰ فإنه كليم الله، فيأتون موسىٰ، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسىٰ فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسىٰ فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد (ﷺ) فيأتون فأقول: أنا لها، فأستأذن علىٰ ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر

ساجدًا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق، فأفعل ، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر ساجدًا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يارب! أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل» فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن

وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثنا بما حدثنا به أنس بن مالك فـأتيناه، فسلمنا عليـه فأذن لنا، فقلنا: يا أبا سعيد! جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه، فحدثناه بالحـديث فانتهى إلى هـٰذا الموضع، فقال: هـيه، فقلنا لم يزد لنا على هـٰـذا، فقال: لقد حـدثني، وهو جميع منذ عشـرين سنة، فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا؟ فقلنا: يا أبا سعيد! فحدثناه، فضحك. قـال: خلق الإنسان عجولاً، ما ذكـرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كـما حـدثكم به، وقال: ثم أعـود الرابعة، فـأحمـده بتلك المحـامد، ثم أخـر له ساجـدًا، فيقـال: يا

محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يارب! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: «لا إله إلا الله».

«متفق عليه»

قال النووي:

وفي هذا الحديث دلالة لمذهب السلف وأهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في أن الإيمان يزيد وينقص، ونظائره في الكتاب والسنة كثيرة.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله



(ﷺ): «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم (ﷺ) فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك؛ حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ـ ربه ـ منها، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله، قال: فيأتون نوحًا (ﷺ) فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ـ ربه ـ منها، ولكن ائتوا إبراهيم (ﷺ) الذي اتخذه الله

خليلاً، فيأتون إبراهيم (ﷺ) فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي - ربه - منها، ولكن ائتوا موسى (ﷺ)الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، قال: فيأتون موسى (عليه السلام) فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي - ربه - منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً (ﷺ) عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله (ﷺ) : فيأتون فأستأذن ربي فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد!

ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع، فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، قال: فأقول: يارب! ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي: وجب عليه الخلود». «متفق عليه»

وقد اشتمل هذا الحديث على نوعين من الشفاعة:

الشفاعة العظمى لإراحة الخلائق من أهوال الموقف، والفصل بين العباد، والشفاعة الثانية، هي: شفاعته (ﷺ) في أمته.

قال الحافظ ابن حجر:

قوله (ﷺ): «**فيحد لي حدًا**».

يبين في كل طور من أطوار الشفاعة حدًا أقف عنده، فلا أتعداه، مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة، ثم فيمن أخل بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنى، وعلى هذا الأسلوب، كذا حكاه الطيبي.

والذي يدل عليه سياق الأخبار أن المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة، كما وقع عند أحمد في هذا الحديث بعينه، وكما تقدم عن أنس في كتاب الإيمان بلفظ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة**» ثم ذكر نحو ما تقدم وقال: «**مثقال ذرة**»، ثم قال: «**مثقال حبة من خردل**»[1].

قال النووي:

قوله (ﷺ): «**ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن**، أي: وجب عليه الخلود».

(١) «فتح الباري» (١١/٤٤٦).

قال النووي :

قوله (ﷺ): «**ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن**، أي: وجب عليه الخلود».

وبين مسلم ـ رحمه الله (تعالى) ـ أن قوله : أي وجب عليه الخلود وهو تفسير قتادة الراوي. وهذا التفسير صحيح، ومعناه: أن من أخبر القرآن أنه مخلد في النار هم الكفار، كما قال (تعالى) : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ**﴾ [النساء: ٤٨]. وفيه دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، والله أعلم[1].

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/ ١٠٣٠).

أسعد الناس بشفاعة النبي (ﷺ)

قال أبو هريرة (رضي الله عنه): يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله من قلبه**». «رواه البخاري»

قال الحافظ ابن حجر:

لعل أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه (ﷺ) عليه بقوله: «**وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**».

فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة، وهم الذين يدخلونها بغير حساب، ثم الذين يلونهم،

وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب، ثم من يصيبه لفح من النار ولا يسقط، والحاصل أن في قوله: «أسعد» إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص[1].

قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ:

تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي (ﷺ) ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٥١).

تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عند أحد إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي الفصل الثاني: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله (ﷺ) فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب

من عقلها وعاها[1].

المحرومون من شفاعة الرسول (ﷺ):

أولا: المشركون:

المشركون ليس لهم حظ من الشفاعة؛ لأنهم لا يقولون: لا إله إلا الله، قال (تعالى): ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

وقال (تعالى) حكاية عنهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

والحقيقة أن صنيعهم هو العجاب، قال

(١) «فتح المجيد» (صـ ٢٥٠ ـ ٢٥١) ط. دار الفكر ـ بيروت.

(تعالىٰ) ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، وقال (تعالىٰ): ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

ثانيًا: المنافقون:

المنافقون ليس لهم حظ من الشفاعة؛ لأنهم لا يقولون: «لا إلـه إلا الله» خالصة من قلوبهم، والمنافق وإن كان يقول: «لا إلـه إلا الله»، ويقول: «أشهد أن محمدًا رسول الله»، لكن الله (عز وجل) قابل شهادتهم هـذه بشهادته على كذبهم، قال (تعالىٰ): ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

أي: في شهادتهم في قولهم: إنك لرسول

الله، فهم كاذبون في شـهادتهم، وفي قولهم: لا إله إلا الله؛ لأنهم لو شهدوا بذلك حقًا ما نافقوا ولا أبطنوا الكفر.

ثالثًا: المكذبون بالشفاعة:

أخرج سـعيد بن منصور بسند صـحيح عن أنس (ﷺ) قال: من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها[1].

• • •

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٣٤).

المقدمة ٣
شفاعة النبي (ﷺ) ٤
أنواع الشفاعات الثابتة للرسول (ﷺ) ٦
حديث الشفاعة العظمى ٩
شفاعته (ﷺ) في أهل الكبائر من أمته ٢٢
شفاعة الرسول (ﷺ) لأهل الجنة أن يدخلوها ٣٢
شفاعة الرسول (ﷺ) فيمن استحق النار ألا يدخلها ٣٥
شفاعته (ﷺ) في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم .. ٣٧
شفاعته (ﷺ) في رفع درجات المؤمنين في الجنة ٤٢
شفاعته (ﷺ) في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ٤٦
شفاعته (ﷺ) لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه ... ٤٩
الأعمال الموجبة لشفاعة الرسول (ﷺ) ٥٣
شفاعته رحمة وفضل من الله لهذه الأمة ٥٧
أول من يشفع فيهم النبي (ﷺ) ٦٣
أسعد الناس بشفاعة النبي (ﷺ) ٧٤